خطبة الجمعة

التي ألقاها أمير المؤمنين سيدنا مرزا مسرور أحمد أيده الله تعالى بنصره العزيز

الخليفة الخامس للمسيح الموعود والإمام المهدي عليه السلام

يوم ٢٠٠٩/٠٣/٠٦

في مسجد بيت الفتوح بلندن

أشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك لـــه، وأشهد أن محمـــدًا عبـــده ورسوله. أما بعد فأعوذ بالله من الشيطان الرجيم. ﴿بِسْمِ اللهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * الْحَمْدُ للهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ * الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ * مَالِكِ يَوْمِ الدِّينِ * إِيَّاكَ نَعْبُـــدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ * اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ * صِرَاطَ الَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْـــرِ الْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلا الضَّالِّينَ﴾. (آمين)

لقد وجه المسيحُ الموعود عليه السلام إلى أبناء جماعته في شتى المناسبات نصائح بين لهم فيها الهدف من إنشاء هذه الجماعة، ونبههم إلى مسؤولياتهم، كما أخبرهم أيضا عما وعده الله به من أفضال نتيجة قيامهم بهذه المسؤوليات وسعيهم لتحقيق تلك الأهداف. كما تحدث أيضا عن ذلك الرقي العظيم الذي قدّره الله تعالى لهذه الجماعة. ومن هذا المنطلق سأعرض عليكم الآن بعض الأمور

حتى نظل منتبهين إلى مسؤولياتنا، فنفوز بقرب الله ورضوانه، ونرث تلك الأفضال التي هي مشروطة بتمسكنا بنظام الجماعة.

يقول المسيح الموعود عليه السلام مبينا الهدف من إنشاء هذه الجماعة وغايتها:

"إن هذا العصر هو عصر المعركة الروحانية، والحربُ ضد الشيطان جارية، حيث يشن الشيطان هجومه على حصن الإسلام بجميع مكائده ومكره، ويريد أن يهزم الإسلام، لكن الله تعالى قد أقام هذه الجماعة ليوقع بالشيطان في هذه المعركة الأخيرة هزيمة نكراء حاسمة. فطوبى لمن يتعرف إلى هذه الجماعة."

نشكر الله تعالى على عظيم منّته علينا إذ وفّقنا للانضمام إلى هذه الجماعة المباركة. لقد وفّق الله بعضنا لتصديق هذه الجماعة من خلال حسنات آبائهم حيث وُلدنا في عائلات مسلمة أحمدية بفضله تعالى، كما وفّق البعض الآخرين لأن يبايعوا بأنفسهم وينضموا إلى هذه الجماعة. وهذا العمل مستمر إلى هذا اليوم وسوف يستمر إلى الأبد بإذن الله، لكي نكون من الحزب المختار الذي يخوض الحرب الأخيرة ضد الشيطان ويفوز برضوان الله. وبسبب هذا الأمر نفسه.. أي لأننا آمنّا بإمام هذا الزمن.. يتعرض بعضنا للاضطهاد في بعض البلدان. لكن تضحياتنا هذه لا تساوي شيئا إزاء الهدف العظيم النبيل الذي نسعى لتحقيقه. لقد ظل المسيح الموعود عليه السلام يذكّرنا بهذه الابتلاءات والاختبارات، وثمة كتابات كثيرة لحضرته حذّرنا فيها أنه لا بد أن تتعرضوا لابتلاءات كثيرة، كما بشّرنا ببشارات نتيجة ثباتنا في هذه الابتلاءات، فقال حضرته عليه السلام:

إن من يؤمن بي في هذا الوقت يضطر لأن يخوض حربًا عظيمة ضد نفسه، فسيرى أنه سيضطر أحيانا لأن ينفصل عن عائلته وقبيلته، وسيصاب بالكساد في تجارته المادية نتيجة عرقلة القوم؛ سيَسمع السباب والشتائم ويتعرض للعنات، لكنه سينال عند الله الأجر على كل هذه الأمور."

نلاحظ اليوم أن كلمات المسيح الموعود عليه السلام تتحقق حرفيا في بعض البلاد، والمسلمون الأحمديون الذين يقدمون التضحيات اليوم سيجدون هذا الأجر المعهود عند الله. في هذه الأيام قد نغّص المسلمون غير الأحمديين الحياة على المسلمين الأحمديين الجدد في باكستان وفي الهند أيضا، ويضطهدونهم بمنتهى القسوة في الهند بشكل خاص. وأصبح اضطهاد الأحمديين في باكستان عملاً حسنا خاصة بعد قيام الحكومة الجديدة، لأنها منحت مطلق الحرية للمشايخ الذين مكائدهم ومؤامراتهم مخيفة وخطيرة جدا. في الوقت الراهن ليس للقانون سيادة في البلد بشكل عام، بل قد عمّته الفوضى والفساد، وحتى لو كان هناك شيء من سيادة القانون فلا نفع فيها للأحمديين. ومن فضل الله تعالى أن هؤلاء كلما حاولوا نسج مؤامرة كبيرة ضد الجماعة ردّ الله عليهم مكرهم، فحاقت بهم مؤامراتهم. هذا ما نلاحظه منذ بضع سنوات الماضية. ففي هذه الأيام أيضا كان يبدو في الظاهر أنهم ينسجون مؤامرة ضد الجماعة، لكن الله تعالى أحدث الفوضى في البلد. فليتذكر الأحمديون -الذين يتعرضون اليوم للظلم في أي بقعة من بقاع العالم – أن هذه المعركة أخيرة ضد الشيطان، وقد تجنّدتم، ابتغاءَ مرضاة الله، في هذا الجيش الذي شكّله إمام هذا الزمان عليه السلام.

لهذا يجب أن تقوّوا إيمانكم، واسألوا الله الثبات والاستقامة متحلين بالصبر والأناة ومنيبين إلى الله أكثر من ذي قبل، فالانتصار الأخير مقدّرٌ لجماعة المسيح الموعود عليه السلام بإذن الله لقوله عليه السلام: إن الله سبحانه وتعالى قد أقام هذه الجماعة لإلحاق الهزيمة بهذه القُوى الشيطانية الطاغوتية. لكن يجب أن نتذكر أنه لا بد من التغلب على الشيطان الداخلي أيضا من أجل هزيمة الشيطان الخارجي، لأن انتصارنا المنوط بتمسُّكنا بجماعة المسيح الموعود عليه السلام لن يتحقق بالوسائل المادية الظاهرة، بل بالدعاء. ولا بد من السلوك في سبل رضوان الله تعالى حتى نفوز باستجابة دعائنا، الأمر الذي يستلزم الجهاد بالنفس. يقول المسيح الموعود عليه السلام ناصحا إيانا بهذا الخصوص:

إن اتّباع أهواء النفس هو من الشرك، إذ إنها تحجب القلب وتعرِّض الإنسان للعثار حتى لو كان قد بايع. *(أي أن أهواء النفس تُعَدُّ من الشرك وهي تسبب حجاب القلب وإن كان صاحبها قد دخل البيعة التي يُقبل عليها الإنسان بعد كل تفكير وتدبر. هذا وهناك بعض الأحمديين القدامى الذين تصدر منهم تصرفات تؤدي إلى العثار)* فقال عليه السلام إن من مبادئنا أن يتمسك الإنسان بالتوحيد الخالص متخليا عن أنانيته.

فمن واجب كل أحمدي أن يعمل على إقامة توحيد الله تعالى، مطهِّرا قلبه من كل أهواء النفس من كل أنواعها.

قال حضرته عليه السلام إن البعض يتعرضون للعثار رغم بيعتهم وذلك لأنهم لا يدركون الهدف الذي من أجله انضموا إلى الجماعة، ألا وهو تسليم النفس لله سبحانه وتعالى كليّةً وتصفيةُ القلب من كل أنواع الشرك.

ثم يقول عليه السلام في موضع آخر:

"إن الله قد أراد أن يقدّم للعالم نموذجا لحياة طاهرة تقية، ولتحقيق هذا الهدف قد أنشأ هذه الجماعة. إنه سبحانه وتعالى يريد التطهير ويريد إنشاء جماعة طاهرة زكية. في هذا العصر الذي انتشرت فيه الفحشاء في كل مكان من العالم، ولم يعدْ الناس يهتمون بأداء حقوق الله ولا حقوق العباد، وعمَّت الفتنة والفساد البلادَ، ويقطع المسلم رقبة أخيه المسلم باسم الله وباسم الدين، فمن ناحية يرفعون الهتاف أنهم سيقيمون حكم دين الله وشريعته في البلد الذي حصلنا عليه باسم الإسلام، ومن ناحية أخرى تُهدَر، من أجل مصالح شخصية فقط، دماء الناطقين بالشهادتين باسم الدين. إن باكستان تقدم اليوم للعالم صورة مخيفة للظلم والوحشية. رحم الله بلدنا هذا. يجب أن يتذكر كل أحمدي باكستاني أن الجماعة قد قدمت تضحيات كثيرة من أجل هذا البلد، فإذا كان هناك من يقدر على إنقاذ هذا البلد من الدمار فإنما هي الجماعة الإسلامية الأحمدية. لا توجد في بحر الفسق والفجور والفساد والظلم هذا إلا سفينة واحدة صنَعها المسيح الموعود عليه السلام، ونحن ركابها اليوم بفضل الله، وهناك حاجة ماسة إلى أن نبذل جهودًا خصوصية لنكون أهلاً للبقاء في هذه السفينة. كما إن أهل بلدنا بحاجة إلى ندعو لهم ساجدين على عتبات الله سبحانه وتعالى، ليعودوا إلى صوابهم، ولا يغامروا ولا يخاطروا بحياتهم وحياة البلد باتباعهم قادتهم المزعومين. فهاتان مسؤوليتان كبيرتان وبارزتان تقعان على عاتق كل مسلم أحمدي، لاسيما على أبناء الجماعة في باكستان، لأن الأوضاع سيئة هناك. بل ينبغي أن ينتبه الأحمديون إلى هذا الأمر بشكل خاص في كل بلد ساءت

أوضاعه. وقد لوحظ أن بعض الأحمديين الذين قد أغناهم الله بفضله ينسون أحيانا الهدف من انضمامهم إلى جماعة المسيح الموعود عليه السلام، حيث ينهمكون في شؤون الدنيا أكثر من اللازم. إن شكاوى كثيرة تُرفع إلي أن بعض الأحمديين يهملون تقاليد الجماعة ولا يراعون التعاليم الإسلامية، ولا يهتمّون كما ينبغي بالأمر الذي هو أساس إقامة وحدانية الله وهو الغاية من خلق الإنسان.. أعني بالعبادة والحفاظ على الصلوات. هذا الوضع يبعث على خوف كبير من أن ينطبق على أحد منا قول الله سبحانه وتعالى ﴿إِنَّهُ لَيْسَ مِنْ أَهْلِكَ إِنَّهُ عَمَلٌ غَيْرُ صَالِحٍ﴾(هود:٤٨). لا قدر الله ولا سمح الله أن تكون لأحد المبايعين مثل هذه المنـــزلة في نظر الله تعالى. يجب أن تقشعرّ جلودنا لهول هذا الأمر. وفّقنا الله لأن نقوم بالأعمال التي هي صالحة عنده سبحانه وتعالى، وألا نكون من الذين يحاسبون أنفسهم –على حد زعمهم– بحسب المعايير التي اخترعوها من عند أنفسهم، بل نسعى للوصول إلى المعايير التي وضعها لنا إمام الزمان عاقدًا آماله بجماعته. يقول حضرته عليه السلام:

"لن تنال جماعتنا النجاة، ولن يحميها الله سبحانه وتعالى ما لم تتحلَّ بالتقوى.

ثم يقول عليه السلام:

"رغم أن الله تعالى قد وعد الجماعة أنه سيحميها من هذه الآفة (يـــشير عليه السلام إلى الطاعون) غير أنه تعالى قد وضع لذلك شرطا أيضا وهـــو: ﴿لم يلبـــسوا إيمانهم بظلم﴾.. أي لا يأمن منه إلا الذين يخلو إيمانهم من أية شائبة من الظلم."

هناك آفات كثيرة في هذا الزمن أيضا تتربص بنا عند كل خطوة، ولن نتقيها إلا بالتزام المبدأ الذي بينه حضرته عليه السلام.

يقول حضرته عليه السلام:

"ثم إن الله تعالى قد وعد عن "الدار"،★ ووضع لذلك أيضا شرطا فقال: "إلا الذين عَلَوا مِن استكبار". والمراد من كلمة " الذين عَلَوا".. أولئك الذين لا يطيعون طاعة مقرونة بالتواضع الكامل والخضوع التام. إذًا فلا يدخل أحد "الدار" ولا ينفعه ادعاؤه بالإيمان ما لم يتحلّ بإخلاص النية التي هي بمنزلة السجود في الحقيقة."

فحضرته عليه السلام يصرح هنا أن دعاواكم بالإيمان والبيعة باطلة ما لم تتحلوا بالتواضع الحقيقي والطاعة الخالصة. هذا هو المستوى الذي يتوقع منا المسيح الموعود عليه السلام بلوغَه. لذا فعلى كل أحمدي أن يسعى جاهدًا للسير في سبل التقوى والطاعة الكاملة، الأمر الذي سيسيّره على صراط يوصله إلى الغاية المنشودة التي بيّنها المسيح الموعود عليه السلام. يقول حضرته في هذا الصدد:

"إذا كانت جماعتنا تريد أن تكون جماعةً حقيقية فلا بد أن يختاروا لأنفسهم موتا، ويتجنبوا أهواء النفس، ويؤثروا الله على كل شيء. إن كثيرا من الأمور التي تُعَدُّ رياءً ولغوا تُهلِك الإنسان، فعلينا أن نحاسب أنفسنا دائما."

فإذا وجدنا في أنفسنا شيئا يحتاج إلى الإصلاح فعلينا محاولة إصلاحه. ويجب أن يكون الدافع للإصلاح نابعًا من الصميم، فينبغي أن يحاسب الإنسانُ نفسَه بنفسه. واعلموا أن محاولة الإصلاح إنما تكون ناجحة إذا كان الواحد منا بريئا من التعنت كلية، ومدركًا أن لحياته هدفا خاصا بعد الانضمام إلى جماعة

★ يشير إلى إلهام تلقاه في أيام انتشار الطاعون في الهند وهو: "إني أحافظ كل من في الدار". (المترجم)

المسيح الموعود عليه السلام وهو أن يكون أسوة طيبة للآخرين، وأن يعمل بأوامر الله تعالى ابتغاء مرضاته سبحانه وتعالى. وهذا الشعور -إلى جانب إصلاح النفس- يمكن أن يعرّف الآخرين بالأحمدية أي الإسلام الحقيقي ويرشدهم إليها، بل هذا ما يحدث على صعيد الواقع.

ويتابع المسيح الموعود عليه السلام ناصحا الجماعة حول هذا الموضوع:

"كل غريب يلقاكم يتفرس في وجوهكم، وينظر إلى أخلاقكم وعاداتكم وثباتكم والتزامكم بأوامر الله، ولو لم تكن بالمستوى المطلوب لتعثّر بسببكم، فانتبِهوا إلى هذه الأمور جيدا."

ثم يقول حضرته في موضع آخر:

"إن الله تعالى يُعِدُّ الآن جماعةً من الصادقين، لذا هناك حاجة ماسة إلى أن نكون أسوة في الصدق."

ما هو الصدق؟ يبين ذلك حضرته عليه السلام:

"عندما يحب الإنسانُ الصدقَ والسدادَ بشكل عام ويتخذ الصدق شعارًا له، فهذا يجلب له ذلك الحق العظيم الذي يُريه وجهَ الله سبحانه وتعالى."

وعندما يرى الإنسانُ اللهَ تعالى يحظى بمعرفة وحدانيته عز وجل، وحين يحظى بمعرفته تعالى يظل متنبها إلى طاعته الكاملة على الدوام، وينال معرفة حقيقية لحبه تعالى، وينفر من كل أنواع الشرك، ويحظى بمعرفة حقيقية بكونه عبدا حقيقيا لله تعالى، ويجد قوة تكبد أنواع المصائب والشدائد في سبيل الله بصبر واستقامة، ويتقوى على مواجهة كل ابتلاء ومعاناة، ويتولد فيه التوكل على الله، ويسعى للتحلي بجميع مكارم الأخلاق.

باختصار، يوفقه الله تعالى في كل حين وآن إلى بلوغ أعلى معـــايير الـــصدق ولأداء حقوق الله وحقوق عباده.

هذا هو ملخص الهدف من وراء تأسيس هذه الجماعة التي قال المسيح الموعود عليه السلام عنها: "إن الله تعالى يُعِدُّ الآن جماعة من الصادقين". فلو حاسبنا أنفسنا بحسب هذه المعايير لاستولت علينا حالة من الخوف. وهذه الحالة توجّهنا إلى العودة إلى الله تعالى والخضوع على عتباته مجدَّدًا. وسلوك هذه السبل أيضا لا يتأتى إلا بفضل من الله تعالى، ولولا فضل الله تعالى لما استطعنا فعل أي شيء مهما حاولنا وبذلنا جهودنا. ندعو الله تعالى أن يصبح كل واحد من أبنـــاء جماعته من أولئك الذين يسلكون مسلك التقوى والذين قـــال عليه السلام عنـــهم: "لقد أراد الله تعالى أن ينقذ جماعةً من نار الفسق والفجور هذه ويدخلهم في حزب المخلصين والمتقين."

ومن هم حزب المتقين؟ يقول حضرته عليه السلام:

"الذين يؤثرون الدين على الدنيا بحسب عهد البيعة".

والمراد من عهد البيعة هو شروط البيعة، أي أنهم يحاولون أن يعملوا بحـــسب شروط البيعة. ندعو الله تعالى أن يوفِّق كل واحد منا لإيثار الدين على الدنيا وأن يكون من حزب المتقين المذكورين أعلاه، ويوفِّقهم أيضا لإدراك حقيقة شروط البيعة التي وضعها المسيح الموعود عليه السلام، وألا يكونوا ممن يُعرضون عن أوامر الله تعالى مدفوعين بأهوائهم، وندعوه تعالى أن يكونوا أســـوة حـــسنة للآخرين لكي تدعو لنا أجيالنا أيضا وتسلك سبل التقوى نفسها، وكـــذلك ندعوه سبحانه وتعالى أن يوفِّق الأحمديين الجدد للدعاء لمن أحسنوا إلـــيهم وعرَّفـــوهم

بالجماعة. الجماعة الإسلامية الأحمدية سوف تظل تنمو وتزدهر لا محالة، وهذا ما نشاهده منذ مائة عام ماضية حيث كانت يد رحمة الله على جماعتنا دائما، وهو ﷻ يوفِّق مئات الألوف من الأرواح السعيدة للانضمام إليها كل عام. ندعو الله تعالى أن يثبِّت أقدام المبايعين الجدد، ويجعلهم شاكرين لله تعالى.

وكما قلت من قبل وبمناسبات مختلفة فإن الجماعة الإسلامية الأحمدية كلما تزداد عددًا وقوةً تشتدّ نار المعارضة والحسد والعداء ضدها. لقد تمنى معارضو الجماعة وحاولوا دائما تدميرها. هذا هو منحى تفكيرهم، حيث تربصوا بالجماعة دائما وانتظروا نهايتها اليوم أو غدا، ولطالما دعوا الله تعالى لأجل ذلك، ولكن أفضال الله قد نزلت على الجماعة أكثر من ذي قبل في كل مرة. ندعو الله تعالى أن يستر تقصيراتنا الآن أيضا كما ظل يسترها دائما، وينزل علينا أفضاله كما ظل ينزلها دائما، وأن يفشل كل هجوم للعدو ويخيِّب آماله دوما، آمين.

وكل هذه الانتصارات التي نراها، ويراها العدو أيضا، إنما هي لسبب وحيد وهو أن الله تعالى قد وعد بها المسيحَ الموعود عليه السلام، وقد طمأن عليه السلام جماعته دائما بناء على تلك الوعود.

يقول حضرته عليه السلام في موضع:

"سيأتي على أتباعي زمان حين ينالون رفعة بعد رفعة، ولكن لا أعرف ما إذا كان هذا سيتم في حياتي أو بعدي. لقد وعدني الله تعالى: أن الملوك سيتبركون بثيابك. لم يتحقق هذا الأمر بعد. ومن سنة الله تعالى أنه يختار حزب الفقراء في أول الأمر، فينالون النجاح والرفعة باستمرار. لست قلقا على الإطلاق من

أن أتباعنا لن يكونوا أغنياء، كلا بل سيصبحون أغنياء حتما، ولكن ما يقلقني هو ألا يصبحوا مثل الآخرين بعد نيلهم الثروات المادية فيغفلوا عن الدين ويؤثروا عليه الدنيا."

هذا هو الأمر الذي كان يقلق المسيحَ الموعود عليه السلام. لا شك أن الجماعة سوف تحقق الازدهار والرفعة حتما بإذن الله، ولكنه يخاف أن يؤثر أبناؤها الدنيا على الدين في هذه الحالة، ويغفلوا عن الله تعالى.

ندعو الله تعالى أن يوفق جميع الأحمديين لأداء واجباتهم على أحسن وجه، ويوفقهم لتحقيق كل ما كان المسيح الموعود عليه السلام يتمناه ويتوقعه من جماعته، ويجنّبهم كلَ سيئة كان حضرتُه قلقًا بشأنها، وأن نكون وارثين لأدعيته عليه السلام دائما. آمين.